

## مظاهر التراث فى ديوان بدوى الجبل

### سندس كردآبادى

استاذة مساعدة بجامعة آزاد الإسلامية، طهران مركز، قسم اللغة العربية و آدابها

### سعيدة رنجبرنژاد

طالبة الماجستير بجامعة آزاد الإسلامية، طهران مركز

تاريخ پذیرش: ۱۳۹۰/۴/۳۰

تاريخ دریافت: ۱۳۹۰/۴/۱۴

### الملخص

شاع فى الشعر العربى المعاصر ظاهرة توظيف التراث و قد بات من أبرز و أهم سمات هذه الفترة. فقد استطاع الشعراء العرب و من خلال استخدامهم التراث، التعبيرَ عن مفاهيم قد يصعب أحياناً التعبير عنها بشكل مباشر و صريح كالرفض و التمرد و الحرية أو النصر و الهزيمة. تهدف هذه الدراسة إلى تبیین هذه الظاهرة فى ديوان الشاعر السورى بدوى الجبل الذى لم تتم له دراسة مستقلة خاصة إلا بإشارات متناثرة فى طيات الكتب و الدراسات. صُنِّفَت ملامح التراث و أشكاله عند الشاعر البدوى تحت أربعة بنود: التراث التاريخى، التراث الدينى، التراث الأدبى، التراث الصوفى.

الكلمات الدليلية: الشعر المعاصر، بدوى الجبل، التراث.

### نبذة عن حياة الشاعر

ولد الشاعر محمد سليمان الأحمد سنة ۱۹۰۳م فى قرية «ديفة» التابعة لقضاء «الحفة» فى جبل «اللكام» بمحافظة اللاذقية (القطار، ۲۰۰۰، ۲۱). كان والده الشيخ سليمان الأحمد بن عبود عضواً فى المجمع العلمى بدمشق و أصبح بيته مركزاً دينياً و علمياً و محجة لطالبي المعرفة، يرتل فيه القرآن و يجود الشعر (الجبل، ۲۰۰۰، ۷). و أخذ يعلمه اللغة و الدواوين الشعرية و الكتب التى إهتم بها أهل هذا الجيل و أهمها نهج البلاغة للإمام على (ع) و ديوان الشريف الرضى و تلميذه مهيار ثم القرآن الكريم الذى هو معلم الأدب الأول. فى

هذا الجو اللغوى الرفيع نشأت شاعرية البدوى (الجندي، ١٩٦٥، ٥٥). وقد ظهر على الناس بشعره و هو فى التاسعة عشرة من عمره بعد أن عنى به أبوه فى نشأته الشعرية و حوالى هذا السن أظهر ديوانه فى مئتى صفحة و سمّاه «الشفق» و أقبل الأدباء و العلماء عليه إقبالاً لم يشهده شعر شاب قبله (الدهان، ١٩٦٨، ٢٢٧). أحبّ البدوى الشعر القديم و وجد مع تنامى و عيه كل الأسباب لإقتفاء أثر هذا الشعر و الإقتداء به. و قد حفظ البدوى مع رجيل من الرواد جيد الأدب القديم ثم أقدم هذا الرجيل على معارضة هذا الشعر و عبّر بمحاكاة أسلوبه عن قضايا العصر (الدسوقي، ١٩٦٦، ٢/٢١١). فالفن الشعرى لديه «يقرّه من الأخذ بفلسفته عند الرومانسيين، بوح بما فى النفس يجعله يلتمس العزاء فى مخالطة الطبيعة و كائناتها و يقربه من تلمس حركة الحياة فيها، و إنطاقة صورها بصوته الخاص الذى يمثّل الحزن و الهم أعذب نبراته، و يكون فى مجموعه عماد رؤيته الجمالية نفوذاً فى متلقيه» (الأستر، ٢٠٠٨، ٨٨). و قد تغلب على شعره الطابع الرومانسى تبعاً للمنهج السائد آنذاك (الدهان، ١٩٦٨، ٢٣٠). و قد قال فيه شفيق جبرى: «لا خوف على خلود عبقريته، ما دمنا نحتاج فى كل العصور إلى شكوى الدهر، و الدنيا و الناس، و ما دامت العربية لغة كثير من الخلق، و سيكون شعره غذاءً روحياً لمن يتذوق الشعر». (الخير، ١٩٨٣، ٣٥)

بينما كان ذكر الوطن تتمات على الشفاة إبان الإستعمار الفرنسى جهر بدوى الجبل مع إخوانه بوطنيته و حمل راية الوطن و إنطلق إلى ساحات النضال السياسى (الجبل، ٢٠٠٠، ٩). بعد دخول المحتلين الأراضى السورية، توارى الشاعر.

عن الأنظار بعد أن كان هناك أمر بإعتقاله يحمله المحتلون معهم (القنطار، ٢٠٠٠، ٣٩). ثم سجن فى سجن الديوان العرفى الحربى فى زقاق البلاط ببירות حيث بقى ستة عشر شهراً، و لفت زعماء محافظة اللاذقية نظر المراجع المسؤولة إلى صغر سن الشاعر المعتقل و قد تبين لهم فيما بعد أن الشاعر قد حكم غيائياً و كانوا يظنونهم أكبر مما هو فى الواقع بكثير ولم يكن ليخطر ببالهم أنه دون سن الرشد. فأتى أمر من وزارة الحربية يوقف التنفيذ و هكذا أطلق سراح الشاعر المعاصر. (عكاش، ١٩٦٨، ١٢)

عندما إستقلت سوريا، أسهم البدوى فى بناء الوطن نائباً ثم وزيراً مراراً عديدة منذ عام ١٩٣٠ و لكنه ظل فى كل أحواله الشاعر الذى يغنى الوطن و سعى الفرنسيون إلى كسب وده بالمال و الجاه و شراء صمته بعد أن أقلقهم شعره و لكن جهودهم ذهبت عبثاً (القنطار،

٢٠٠٠، ٤٢). و عن نهاية حياته يقال: «ظهر الثلاثاء الواقع في ١٨/٨/١٩٨١ توقف قلب الشاعر الكبير بدوى الجبل إلى الأبد عن عمر يناهز الـ ٧٨ سنة». (روبرت ب، ١٩٩٦م، ١/٢٩٦)

### التراث:

#### المدلول اللغوي:

الأصل في كلمة التراث (Heritage) وراث، و تدل مادة وراث في معاجم اللغة العربية على المال الذي يورثه الأب لأبنائه (وتار، ٢٠٠٢، ١٩). جاء في لسان العرب: الإرث: الأصل. الإرث في الحسب و الورث في المال. و الإرث: الميراث. (ابن منظور، ١٩٩٩، مادة وراث) و يستخدم القرآن الكريم كلمة «التراث» بنفس المعنى الذي ورد في معاجم اللغة، أى المال: و تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (الفجر: ١٩). و لم تستخدم كلمة التراث بالمعنى الإصطلاحي إلا في العصر الحديث، حيث يتباين مفهوم التراث في الثقافة العربية المعاصرة من باحث إلى آخر، تبعاً لاختلاف إيديولوجيا الباحثين و تعدد مواقفهم. (وتار، ٢٠٠٢، ١٩)

#### المدلول الإصطلاحي

إذا كان الباحثون يتفقون على أن التراث ينتمى إلى الزمن الماضى، فإنهم يختلفون بعد ذلك في تحديد هذا الماضى، فيرى بعضهم أن التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضى البعيد (وتار، ٢٠٠٢، ١٩). و يعرف التراث على هذا الأساس بأنه كل ما ورثناه تاريخياً. و هناك من يعتقد أن التراث هو ما جاءنا من الماضى البعيد و القريب أيضاً. (الجابري، ١٩٩١، ٤٥)

فالحديث عن التراث حديث في الهوية، فالتراث، تراث أى أمة في عرف الباحثين و المختصين هو حديث في ماضى الأمة بمختلف مكونات هذا الماضى، و مكونات ماضى أى أمة هى إمتداد جذورها، و هى عناصر الهوية و خصائص شخصية الأمة. من هذا المنطلق فإن تناول التراث بالبحث و الدراسة و التنقيب يدخل في باب الواجب تجاه الإنتماء، و تجاه السعى لبناء مستقبل الأمة، لأن من لا ماضى له لا حاضر له، و من لا حاضر له لا مستقبل له. أو كما يقال: «من يطلق ناره على الماضى يطلق المستقبل ناره عليه». و نحن اليوم نرى

كيف أن الشعوب التي لا ماضى لها تبحث عن أى ماض كى تعزز حضورها و حاضرها، بل إن بعضها يخلق الماضى إختلاقاً لصنع هوية، و يبذل من أجل ذلك الغالى قبل الرخيص.

### توظيف التراث عند البدوى و أشكاله

«إن تراث الشاعر داخل ضمن التكوين النفسى للشاعر أراد أم لم يرد، شعر بذلك أم لم يشعر، فترات الأمة حاضر من حاضرها، مؤثر فى تربيتها و فى تكوين شخصيتها و فى عواطفها، و أفكارها و فى آمالها و آلامها و تطلعاتها» (الكيسى، ١٩٧٨، ١٠). إن لتوظيف التراث عند البدوى أهمية خاصة فى الكشف عن البنية الفنية لقصائده من خلال متابعة هذه الظاهرة و كشف العلاقات التي تربط النص الشعرى الحاضر بالنصوص الغائبة. و هنا يعتمد الخطاب الشعرى إلى توجيه قوة ضاغطة، خفية تدفع المتلقى و المخاطب إلى إستحضار النص الغائب من خلال بعض الإشارات و التضمينات لبعض المفردات و التراكيب (شريح، ٢٠٠٥، ١٧١). و فيما يلى نعرض أشكال توظيف التراث و استعمالاته فى ديوان الشاعر بدوى الجبل:

### التراث التاريخى

الأحداث التاريخية و الشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهى بإنهاء وجودها الواقعى، فإلى جانب ذلك لها دلالتها الشمولية الباقية و القابلة للتجدد - على إمتداد التاريخ - فى صيغ و أشكال أخرى. فدلالة البطولة فى قائد معين، أو دلالة النصر فى كسب معركة معينة تظل - بعد إنتهاء الوجود الواقعى لذلك القائد أو تلك المعركة - باقية و صالحة لأن تتكرر من خلال مواقف جديدة و أحداث جديدة، و هى فى نفس الوقت قابلة لتحمل تأويلات و تفسيرات جديدة (عشرى زايد، ٢٠٠٦، ١٢٠). «إذ إن التاريخ ليس وصفاً لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصر لها، إنه إدراك إنسان معاصر أو حديث له، فليست هناك إذن صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضى». (ناصر، ٢٠٥)

يختار الشاعر من الشخصيات و الأحداث التاريخية ما يوفق طبيعة الأفكار و القضايا و الهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقى، و من ثم تنعكس طبيعة المرحلة التاريخية و الحضارية التي عاشت الأمم فى الحقبة الأخيرة، و إحباط الكثير من أحلامها، و خيبة أملها

في الكثير مما كانت تأمل فيه الخير، و سيطرة بعض القوى الجائرة على بعض مقدراته،  
ينعكس كل ذلك على نوعية الشخصيات و الحوادث التي يستمدّها الشاعر. (عشرى زايد،  
١٩٩٧، ١٢٠)

من الظواهر اللافتة في إستخدامات اللغة الشعرية عند البدوى إحتوائها الأدائي لمعطيات  
التاريخ و دلالات التراث، إذ يقوم الشاعر بإستلهم الحدث التاريخي و الشخصيات  
التاريخية بغية توظيفها في بنية النص بما تحمله من دلالات و إشارات، تتيح للشاعر و  
للمتلقي على ما تفجره الشخصيات التاريخية، أو الموقف التاريخي من مشاعر و دلالات،  
تنمى القدرة الإيحائية للقصيدة. و تبين القراءة التحليلية لقصائد البدوى، إستحضاره  
الشخصيات التاريخية المهمة التي تركت بصمات و إحياءات خاصة في الوجدان العربي و  
هنا يسقط الشاعر الماضي على الحاضر بغية إثراء دلالات النص عن طريق التأثير و  
الإحياء معاً (شرتج، ٢٠٠٥، ١٧١). على سبيل المثال نقرأ له من قصيدة «من وحي  
الهزيمة» (الجبل، ٢٠٠٠، ١٩١) هذه الأبيات الشعرية:

|                                                    |                                              |
|----------------------------------------------------|----------------------------------------------|
| هَلْ دَرَتْ عَدْنُ أَنْ مَسْجَدَهَا الْأَقْدَمُ    | صَى مَكَانٌ مِنْ أَهْلِهِ مَهْجُورٌ؟         |
| أَيْنَ مَسَرَى الْبُرَاقِ، وَالْقُدْسُ وَالْمَهْمُ | بَدُوْ وَبَيْتٌ مُّقَدَّسٌ مَعْمُورٌ؟        |
| لَمْ يُرْتَلْ قَرَأَنُ أَحْمَدَ فِيهِ              | و يُزَارُ الْمَبْكَى وَ يُتْلَى الزَّبُورُ   |
| طَوَى الْمَصْحَفُ الْكَرِيمُ، وَ رَاحَتْ           | تَتَشَاكَى آيَاتُهُ وَالسُّطُورُ             |
| تَسْتَبِي الْمَدَنُ وَالْقُرَى هَاتِفَاتُ          | أَيْنَ.. أَيْنَ الرَّشِيدُ وَالْمَنْصُورُ    |
| أَيْنَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ؟ قَبْرٌ غَرِيبٌ!         | مَنْ يَضُمُّ الْغَرِيبَ أَوْ مَنْ يَزُورُ    |
| أَيْنَ آيُ الْقُرْآنِ تُتْلَى عَلَى الْجَمِّ       | عِ وَ أَيْنَ التَّهْلِيلُ وَ التَّكْبِيرُ؟   |
| يَا لَذُلِّ الْإِسْلَامِ وَالْقُدْسِ               | نَهَبٌ هُتِكَتْ أَرْضُهُ فَأَيْنَ الْغِيُورُ |
| قَدْ تَطَوَّلَ الْأَعْمَارُ لَا مَجْدَ فِيهَا      | و يَضُمُّ الْأَمْجَادَ يَوْمٌ قَصِيرُ        |

أشار الشاعر الى النبي محمد (ص) و ما كان عليه المسلمون من عظمة و جلال ليمثل و  
يصور العزة و النصر في التاريخ الإسلامي. كما يلوح الى حوادث كربلاء و ما حل بالإمام  
المظلوم الحسين بن علي (ع) و من ثم يشير إلى هارون الرشيد و المنصور محاولاً تحريك  
مشاعر المتلقي و إنفعالاته عن طريق عقد مقارنة بين الماضي و الحاضر و يريد بذلك

الإستحضار أن يحفز المسلمين على الماضي قدماً في طريق العزة التي إنحرفوا عنها و سقطوا بدلاً عنها في هاوية الذلة و حضيضها.

و في قصيدة اخرى تحمل عنوان «فرعون» (الجيل، ٢٠٠٠، ١٥٥-١٥٦) يستحضر الشاعر فيها قصة فرعون و نهايته ليرمز بها إلى الحكام الطغاة و ما سينتابهم أخيراً من انهيار و خذلان:

فرعون مصر: و أنتَ مَنْ رَشَقَ المصاحِفَ لا الوليدُ  
فرعون مصر: و أنتَ مَنْ قَتَلَ الهواشمَ لا يزيدُ  
سُمِّيَتْ فرعونَ الكِنانةَ و هى تَسْمِيَةٌ كَنُودُ  
فرعونُ ذَلَّ به اليهودُ و أنتَ عَزَّ بِكَ اليهودُ  
طامِنُ غُرورِكَ، لم تَدُئِ عَادُ و لا بَقِيَتْ ثَمُودُ  
و لئنْ ذُكِرْتَ فَإِنَّ ذِكْرَكَ لا الزَّكِيُّ و لا الحميدُ  
و لئنْ حَكَمْتَ فَإِنَّ عَيْشَكَ لا الهَنِيُّ و لا الرَّغِيدُ

عبّر البدوي في هذه القصيدة السياسية عن معاناة عاناها المناضلون في سجون الطغاة، كما عبر عن صبره و تجلده و إيمانه بقضيته التي من أجلها كافح و اضطهد، و هو يسخر بالطغاة الذين إنهار عرشهم بإرادة الله، و يدين الظلمة و الطغاة فيختار لهم فرعون و يجعله محوراً للقصيدة و يكرره مرات متتالية بوصفه رمزاً للطغاة في كل العصور. و قد قوَّى الشاعر من مدلول اللفظ بتكراره الاسم (فرعون). و لعل إحدى مظاهر التهكم و السخرية في القصيدة تبدو لنا ماثلة عند مقارنته بين الفرعونيين إذ إن فرعون القرآن تذلل به اليهود بينما فرعون مصر زمانه تعتز به هذه الفئة.

و يستحضر ما أتى الوليد الخليفة الأموي من منكر حين رشق القرآن: «و أنت من رشق المصاحف لا الوليد»، مشيراً إلى قضية صفين حينما رفع القرآن فوق الرماح. كما يستحضر الخليفة الظالم يزيد بن معاوية و كيف صبَّ غضبه على الهاشميين: «و أنت من قتل الهواشم لا يزيد»؛ و ينسب لطاغية مصر كل ما أتى به هؤلاء الظلمة. كما أنه يشير في البيت الأخير إلى بقاء ذكر فرعون بين الناس حياً ليكون عبرة للآخرين. و قد استحضر بذلك الآية الشريفة: **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً** و **إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**. (يونس: ٩٢)

## التراث الدينى

كان التراث الدينى فى كل العصور و لدى كل الأمم مصدراً من مصادر الإلهام الشعرى، حيث يستمد منه الشعراء نماذج و موضوعات و صوراً أدبية، و الأدب العالمى حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التى تشكل محورها شخصية دينية أو موضوع دينى، أو التى تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الدينى. و «إذا كان الكتاب المقدس هو المصدر الأساسى الذى إستمد منه الأدباء الأوربيون شخصياتهم و نماذجهم الدينية، فإن عدداً كبيراً منهم قد تأثر ببعض المصادر الدينية الإسلامية، و فى مقدمتها القرآن الكريم، و إستمدوا من هذه المصادر الإسلامية الكثير من الموضوعات و الشخصيات التى كانت محوراً لأعمال أدبية عظيمة». (عشرى زايد، ١٩٩٧، ٧٥)

بالنسبة إلى الشاعر بدوى الجبل فمن أكثر ظواهر الإستدعاء كثافة فى ديوانه إستدعاء الخطاب القرآنى و قد نجح البدوى فى توظيف النص القرآنى، بما يتلائم و سياق قصائده، لذلك ساهمت التراكيب القرآنية - لدى البدوى - فى تشكيل رؤية جديدة للقصيدة، و فتحت لها آفاقاً ممتدة، أغنت فضاء قصيدته و عالمه الشعرى بأكمله، حتى أصبحت قصائده أشبه بلوحات فنية. و يمكن القول إن توظيف التراث الدينى فى الشعر يصبح تعزيزاً قوياً لشاعريته و داعماً لإستمراره فى ذاكرة الإنسان. (شريح، ٢٠٠٥، ١٨٠)

هذا و بإمكاننا أن نعالج هذا التراث فى أقسام: ١- القرآن الكريم ٢- شخصيات الأنبياء ٣- الشخصيات المنبوذة.

## ١- القرآن الكريم

يقوم بدوى الجبل بإستخدام بعض الصور المستوحاة من النصوص القرآنية، بغية التأثير فى المتلقى. فهناك أبيات فى قصيدة «كافور» (الجبل، ٢٠٠٠، ١٤٩) تشير إلى الآية المباركة: و إِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (التكوير: ٨):

الضَّارَعَاتُ إِلَى السَّمَاءِ وَ لَا تُجَابُ وَ لَا تُعَانُ  
كَالْأُمَّهَاتِ الثَّاكِلَاتِ فَعَزَّ شَمُّهُ وَ احْتَضَانُ  
وَأَدَّ الْهَجِيرُ بَنَاتِهِنَّ فَكُلُّ رَوْضٍ صَحْصَحَانُ

صوّر النص القرآنى هول الجريمة التى كان يرتكبها الجاهليون فى العصر الجاهلى بوأد

البنات في التراب، و هنّ على قيد الحياة. أما في النص الشعري فإن الشاعر يعكس الآية، و يعبر عن قسوة الأمهات اللواتي فقدن معنى الأمومة، وتخلين عن دورهن الإنساني و حنانهن الرباني.

و من قصيدة «نم بقلبي» (الجل، ٢٠٠٠، ١٢٥) نختار الأبيات التالية:

|                                         |                                                |
|-----------------------------------------|------------------------------------------------|
| مَنْ رَأَى فِي السَّقَامِ سَعْدًا رَأَى | الْفَجَرَ وَدَيْعَ السَّنَا وَسَيْمًا طَلِيقًا |
| سَأَلُوا يَوْمَ سَبَقِهِ كَيْفَ جَلَّى  | مِنْ سَجَايَاهُ أَنْ يَكُونَ سُبُوقًا          |
| رَاوَدَتْكَ الدُّنْيَا عَلَى الْحُسْنِ  | و الْجَاهِ فَكُنْتَ الْمُبْرَأَ الصَّدِيقَا    |

استحضر الشاعر قصة النبي يوسف (ع) ليعبر عن عفة الممدوح و طهارته و براءته و صدقه و هي أوصاف أضفاها القرآن على النبي يوسف (ع)، فينتقى من القصة القرآنية بعض المفردات و التعابير التي تساهم في تبيان الجانب الإيجابي في الممدوح و تفي بالغرض تماماً مثل: «راودت، المبرأ، الصديق، الحسن». ولا شك أن إنتقاء هذه الكلمات كانت تحت تأثير المفردة القرآنية و من أجل بلورة هذا الإدعاء نذكر الآيات القرآنية من سورة يوسف: و رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَ غَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَ قَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ (يوسف: ٢٣)؛ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (يوسف: ٥١)؛ وَ مَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ . (يوسف: ٥٣)

## ٢- شخصيات الأنبياء

يقوم البدوي باستعراض شخصية الرسول محمد (ص) في قصيدة «من وحي الهزيمة» التي سبق و أن تحدثنا عنها في التراث الديني أيضاً (الجل، ٢٠٠٠، ١٩٥)، نقرأ منها:

|                                                  |                                      |
|--------------------------------------------------|--------------------------------------|
| هَلْ دَرْتُ عَدْنُ أَنْ مَسْجِدَهَا الْأَفْ      | صَى مَكَانٌ مِنْ أَهْلِهِ مَهْجُورٌ؟ |
| أَيْنَ مَسَرَى الْبَرَاقِ، وَالْقُدْسُ وَالْمَهْ | دُ وَ بَيْتٌ مُقَدَّسٌ مَعْمُورٌ؟    |

الأبيات تحكي قصة المعراج النبوي إلى المسجد الأقصى ففي البيت الثاني يشير الشاعر

إلى ليلة الاسراء سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ (الإسراء: ١). كما يذكر إسم الفرس التي كان الرسول يمتطيها تلك الليلة. و في البيت الخامس يذكر سدرة المنتهى التي مرّ بها الرسول (ص) في معراجهِ و التي أشارت إليها الآيات المباركة: وَ لَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (النجم: ١٣-١٥). هذا و قد إستخدم الشاعر التاريخ و القرآن معاً للتأكيد على مكانة القدس الدينية و لتنبؤ للمسلمين عظم المصيبة التي حلت بهم عند سقوط القدس لعلهم ينهضون و يستعيدونها.

في قصيدة «يا وحشة الثأر» (الجبل، ٢٠٠٠، ١٣٠) يشير الشاعر إلى قصة النبي موسى (ع) و مناجاته الله سبحانه و تعالى في الوادى المقدس و إقترابه من الطور كما ورد في القرآن الكريم: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (النازعات، ١٥-١٦)، كما يستحضر في البيت الثاني قصة النبي إبراهيم (ع) و معجزة الله سبحانه و تعالى حين أنقذه من النيران المشتعلة أو اللهب المضطرم، لذلك أردف لفظة (اللهب) بصفة (القدسى) تنبيهاً و تأكيداً على استحضاره لهذه المعجزة الإلهية:

ناجى على الطور موسى و الندام لنا  
فكيف أغفل موسى حين ناجانا  
إن أنس النار بالوادي فقد شهدت  
عيني من اللهب القدسى نيرانا

بعد ذلك يلمح إلى دكّ الجبل حين يطلب النبي موسى رؤية الله كما ورد في كلام الباري عزّ و جل: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ نَظُرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ سَتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (الأعراف: ١٤٣):

نُطِلُّ مِنْ أَفْقِ الدُّنْيَا عَلَى غَدَاهَا فَتَجَلَّى الرَّاسِيَاتُ الشَّمُّ كُثْبَانَا

### ٣- الشخصيات المنبوذة

يلمح الشاعر في قصيدة «فلسفة الحقيقة» (الجبل، ٢٠٠٠، ٣٥٠) إلى قصة ابني آدم (ع) «قابيل» و «هابيل» بغية خلق مفارقة تصويرية، بين ثنائية الخير و الشر، فيقول:

وَ أَعَادَ مَطْوَى الْعُصُورِ وَ آدَمًا  
يَحْنُو بِأَدْمُعِهِ عَلَى هَابِيلَا  
مُنِحَ الْخُلُودَ وَ لَا مُيُولَ وَ لَا هَوَى  
فَأَبَى وَ آثَرَ غُرْبَةً وَ رَحِيلَا

يستحضر الشاعر في قوله قصة على درجة كبيرة من الأهمية في صراع الخير و الشر، و هى قصة قتل «قابيل» لأخيه «هابيل»، و قد استلهم الشاعر هذه القصة لخلق مفارقة تصويرية و دلالية فى آن واحد، بين الخير المتمثل برفض هابيل قتل قابيل، و الشر المتمثل بإقدام قابيل على قتل هابيل. و هذا ما يتضح من خلال قوله تعالى: وَ تَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا، فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . (المائدة: ٢٧-٢٨)

هذا و قد اشير فى الحديث عن التراث التاريخى إلى شخصية فرعون فى قصيدة «فرعون» (الجل، ٢٠٠٠، ١٥٥-١٥٦) التى تحدث عنها البدوى فى عدة ابيات مطلعها: «فرعون مصر: و أنتَ مَنْ رَشَقَ المصاحفَ لا الوليدُ»، تلك الشخصية التى اشتهرت بالطغيان و الجبروت و مخالفة كلام الله عزّ وجلّ. كما أشار فيها إلى الوليد و يزيد مع ذكر ما فعلوه من رشق القرآن و قتل الهاشميين مما أدّى إلى لصق بصمات الذل و العار على جبينهما طوال التاريخ البشرى.

### التراث الأدبى

من الطبيعى أن يكون الموروث الأدبى هو أشد المصادر التراثية أثراً و أقربها إلى نفوس الشعراء المعاصرين، و من بين الشخصيات الأدبية للشعراء مكانة أقرب و ألصق بنفوس الشعراء و وجدانهم، لأنها هى التى عانت التجربة الشعرية و مارست التعبير عنها و كانت هى ضمير عصرها و صوته. فلا غرابة إذن أن تكون شخصيات الشعراء من أكثر الشخصيات شيوعاً فى شعرنا المعاصر و فى ذات الوقت من أكثرها طواعية للشاعر المعاصر و قدرة على إستيعاب أبعاد تجربته المختلفة. (عشرى زايد، ٢٠٠٦، ١٣٨)

فالأدب بالنسبة إلى البدوى يعنى الإرتباط بالتاريخ و التراث القديم، لذلك كان من الطبيعى أن يتأثر البدوى بالموروث الأدبى القديم من شعر و نثر. أما الشخصيات الأدبية، التى حظيت بالقدر الأعظم من اهتماماته فهى شخصيات المعرى و المتنبى، و أبو تمام، و البحترى، و كذلك حظيت أشعار شعراء المعلقات بعناية خاصة عنده من خلال تناص أشعاره مع بعض منها من جهة، و السير على منوالها و طريقة بنائها من جهة ثانية. فى هذه

العجالة سنبدأ برصد بعض الشواهد الشعرية من العصر الجاهلى حتى العصر الحديث، لتتيح للمتلقى الإطلاع على الخلفية التراثية لأشعار البدوى وأثرها فى صوره و تراكيبه و ذائقتة الأدبية:

١- الشعر الجاهلى: أدرك البدوى أنه باستغلاله الإمكانيات و الطاقات المتواجدة فى الشعر الجاهلى يمكنه توصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على التأثير و الإيحاء. قصيدة «على أطلال الجزيرة» (الجبل، ٢٠٠٠، ٥١٠) خير مثال يبين تأثير الشاعر بالموروث الجاهلى حيث استخدم الهيكلية التركيبية لبنية معلقة «لبيد» و نظمها كمعلقة لبيد على البحر الكامل و جعل رويها الهاء. يقول البدوى:

|                                               |                                              |
|-----------------------------------------------|----------------------------------------------|
| عَفَتِ الدِّيَارُ وَ أَنْكَرَتْ قَصَادَهَا    | حَيَا الْحَيَا تِلْكَ الدِّيَارَ وَ جَادَهَا |
| أَبْلَتْ بِشَاشَتِهَا الْخُطُوبُ وَأَقْصَدَتْ | فُرْسَانَهَا وَ تَخَرَّمَتْ أَجْوَادَهَا     |
| وَ أَبَادَ فِتْيَتِهَا الزَّمَانُ وَ طَالَمَا | مَرَّ الزَّمَانُ بِفِتْيَةٍ فَأَبَادَهَا     |
| حَيَّيْتُهُنَّ مَنَازِلًا مَهْجُورَةً         | سَبَّتِ الْمَنِيَّةُ هِنْدَهَا وَ سُعَادَهَا |

يكى الشاعر أطلال الجزيرة العربية و أمجادها، و يسير بالمطلع على سنن الجاهليين فى البكاء على الأطلال متسائلاً عن أهل وده، مما تذكرنا هذه القصيدة و بشكل أساسى بمعلقة لبيد (العامرى، ١٦٣) حيث يقول:

|                                            |                                           |
|--------------------------------------------|-------------------------------------------|
| عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا  | بِمَنَى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا  |
| فَمَدَافِعُ الرِّيَازِ عُرَى رَسْمُهَا     | خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الْوَحْيُ سَلَامُهَا |
| دِمْنٌ تَجَرَّمُ بَعْدَ عَهْدِ أَنْيَسِهَا | حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلَالُهَا وَ حَرَامُهَا  |

لا شك أن المستوى الواقعى لنص البدوى، يرشد القارئ إلى تناس جلى أو ظاهر مع معلقة «لبيد» من حيث البناء أو الهيكل العام للقصيدة، أو النسق الشعرى الذى سار عليه البدوى من خلال تكراره لعبارة «عَفَتِ الدِّيَارُ»، و وقوفه على الطلل.

٢- الشعر العباسى: قصيدة «و أنجَلَتْ نفسى فى النور» (الجبل، ٢٠٠٠، ٣٤٢) تبين بوضوح أنها أنشئت متأثرة باجواء سينية الشاعر البحرى الذى يقول فيها:

أَيْنَ أَمْسَى؟ فَارًّا يَلْوِي بِهِ      مُجْتَلَى بَدْرٍ وَلَا لَأْلَاءُ شَمْسٍ  
حَازَهُ الدَّهْرُ وَمَرَّتْ فَوْقَهُ      لُجْجٌ أَخْطَاهَا عَدَى وَحَدْسَى  
يَا لَأَمْسَى وَهُوَ يَجْتَازُ الْمَدَى      بَيْنَ أَشْبَاحٍ مِنَ الْأَيَّامِ خُرْسٍ  
قَالَ أَمْسُ هَاتِ عَنْ صَاحِبِنَا      وَابْعَثِ الذِّكْرَى فَطُولُ الْعَهْدِ يَنْسَى

هذه القصيدة تذكّرنا بسينية البحرى ، التى يصف فيها إيوان كسرى (البحرى، ١٣٠٠ هـ.ق، ١٠٨):

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنِسُ نَفْسِي      وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبَسٍ  
وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعَزَعَنِي الدَّهْرُ      رُ التَّمَاسَا مِنْهُ لِنَعْسَى وَنُكْسَى

هناك مقارنة واضحة بين النصين فى المفردات و التشكيل البنائى للقصيدة فى الوزن، و القوافى، و حركة الروى، فالبدوى فى قصيدته يُحوّر فى سياق أبياته، لتتفرد ببعض الميزات و الخصائص، عن نص البحرى، إما بالشكل التعبيرى، و إما بالشكل التصويرى، بيد أن التداخل قائم بينهما فى المستويين معاً. فهذا هو البحرى يبغي المواجهة و التماسك ضد السطوة الزمنية و يتحلى بالصبر أمام الحوادث شاكياً منها؛ فى حين يختار البدوى الهروب و الفرار من مواجهة الدهر الذى يطمس المعالم و الآثار. فكما يلاحظ هناك فارق تعبيري نجده ايجابياً لدى البحرى الذى يتخذ الصمود و التماسك أمام نوائب الدهر و مصائبه مقارنة للإختيار السلبي عند البدوى الذى اختار الإستسلام و الهروب.

٣- الشعر الأندلسى: ابن زيدون هو من أبرز الشعراء الأندلسيين الذين تأثر بهم الشاعر بدوى الجبل و هذا التأثير جلى فى قصيدته «إلى الحبيبة الصغيرة» (الجبل، ٢٠٠٠، ٤٣٨)، نقرأ منها:

أَنَا إِنْ بَعُدْتُ عَنِ الدِّيَارِ فَإِنَّنِي      يَا مَيُّ قَلْبِي فِي دِيَارِكِ بَاقِي  
حُبِّي وَإِنْ شَطَّ النَّوَى بِمَزَارِكُمْ      حُبِّي وَأَشْوَاقِي لَكُمْ أَشْوَاقِي  
لَا تَرَقُّبُوا مِنِّي تَنَاسَى عَهْدِكُمْ      إِنَّ الْوَفَاءَ الْمَحْضَ مِنْ أَخْلَاقِي  
أَنَا لَسْتُ أَخْلِفُ بِالنَّوَى مِيثَاقَكُمْ      أَوْ تُخْلِفُونَ عَلَى النَّوَى مِيثَاقِي

يعبر الشاعر عن مدى حبه و يؤكد على وفائه للحبيب رغم الفراق و النوى متمثلاً بقصيدة «ذكرى أيام الوصال» لابن زيدون (ابن زيدون، ٢٠٠٥، ١١) حيث يقول:

أضحى التناهى بديلاً من تدانينا      و نابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا  
لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ      رَأْيًا، وَلَمْ نَتَّقَلَدْ غَيْرَهُ دِينَا  
لَا تَحْسُبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا      إِنْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا

لقد استخدم الشاعر المعانى المتوافرة فى أبيات ابن زيدون ليعبر عن تجربة إنسانية قد عانى منها كما كان الحال مع ابن زيدون من قبله.

٤- الشعر المعاصر: لا شك أن تأثر البدوى بشعر بعض أشعار معاصريه دليل على تأثر الشعراء بعضهم ببعض، رغم خصوصية لغة الشعر عند كل شاعر. فهناك بعض الشعراء و من بينهم البدوى يلتقطون صوراً إيحائية من سائر الشعراء لمنح صورهم الشعرية قوة إيحائية و دلالية جديدة، تسهم فى تعميق الدلالة، و تعكس فى الوقت نفسه ثقافتهم و قدرتهم الفنية.

فعلى سبيل المثال لقد تأثر البدوى بالشاعر جبران خليل جبران فى مستويين: ١- مستوى لفظى جاء على شكل تراكيب بسيطة لا تتعدى الكلمتين مثل «النأى» و «السّر» فى الأبيات التالية من قصيدة «شعاع العيون» للبدوى (الجبل، ٢٠٠٠، ٥٣٨) و قصيدة «المواكب» لجبران خليل جبران ٢- مستوى معنوى و هو التأثر بالمنهج و الفكرة و بعض الرؤى أحياناً، دون تضمين ملفوظات النص الآخر بوضوح؛ يقول البدوى:

فأحملى النَّأْيَ وَ اتَّبَعْنِي إِلَيْهَا      فَمِنْ الْبِرِّ أَنْ يُوَأْسَى الْكَلِيمُ  
أَسْمَعِيهَا صَوْتَ الْمَلَائِكِ يُرْجِعُ      زَهْوَهَا صَوْتُكَ النَّدَى الرَّخِيمُ  
وَ أُعِيدِي لَحْنَ الرَّبِيعِ فِيهِ      مَا تَمَنَّتْهُ مِنْ هَوَى وَ حَنِينِ  
بَسْمَةً فِي الْحَيَاةِ مِنْ شَفَتَيْهَا      تَبَعْتُ النُّورَ فِي ظِلَامِ الْحَيَاةِ

.....  
هـى سِرُّ الْحَيَاةِ أَنْشُودُهُ اللَّهُ      شِفَاءُ الدَّاءِ الْعَصَى الْكَمِينِ

و يقول جبران:

عَطْنِي النَّأْيَ وَ غَنِّ      فَالْغِنَا سِرُّ الْخُلُودِ

وَأَنِينُ النَّأْيِ يَبْقَى      بَعْدَ أَنْ يَفْنَى الْوُجُودُ  
أَعْطِنِي النَّأْيَ وَغَنٍّ      وَانْسَ مَا قُلْتُ وَقُلْتُ  
إِنَّمَا النُّطْقُ هَبَاءٌ      فَأَفِدْنِي مَا فَعَلْتُ

تتضح عبارة البدوى «فاحملى النأى و اتبعينى إليها»، متقاربة لعبارة جبران «أعطينى النأى وَ غَنٍّ»، حيث يرمز المعنى فى العبارتين إلى التجدد و الثورة على المآسى و الأحزان و على الموت أيضاً، و يؤكد أيضاً على استمرارية الحياة فى نبضها و صفائها الروحى. و قد نجد الأمر نفسه فى العبارتين: «هى سِرُّ الحياة أنشودة الله» للبدوى و «فالغنا سِرُّ الوجود» لجبران اللتين تعكسان حب الشاعرين و عشقهما للحياة، و ما الغناء إلا انعكاس حقيقى لنفسيتهما المتفائلة بالوجود و الحياة.

#### التراث الصوفى

لقد تأثر البدوى بعالم المتصوفة، لذلك تتمثل رموزهم فى مكونات نصوصه الشعرية، مما ساهم فى توجيه المتلقى نحو تلك النصوص و إحيائها فى ذاكرته. ففى قصيدة «اللَّهْبِ القدسى» (الجيل، ٢٠٠٠، ٣٩١) يلمح الشاعر بالفداء الذى قدّمه النبى إبراهيم (ع) و تم فداؤه من قبل الله بذبح عظيم، ليستنبط منه المعنى الصوفى من رغبته فى الفناء لله و الموت فى سبيله حيث يؤثره على الحياة:

آمَنْتُ بِاللَّهْبِ الْقُدْسِيِّ مَ ضَرْمُهُ      أَذْكَى الْأُلُوهَةِ فِينَا حِينِ أَذْكَاهُ  
تُزَيِّنُ الرُّوحَ قُرْبَاناً لِفِتْنَتِهِ      وَ قَدْ يَضِنُّ فَتُسْتَجْدَى مَنَائَاهُ  
وَ لَوْ أَقَامَ الضَّحَايَا مِنْ مَصَارِعِهَا      لَأَثَرَتْ مَوْتَهَا فِيهِ ضَحَايَاهُ

الآيات كما تبدو «ذات نفس روحانى معنوى صوفى، حيث الحب الطاهر النير المنير و لا محبوب دنيوى فيها. فهناك إشارة إلى قصة النبى إبراهيم (ع) مع استذكار النار المعجزة، حيث الأمن و الإستقرار و الرضا بإرادة الله سبحانه و التضحية بروح الرضا على أحسن صورها، فالضحايا فى مثل ذلك الموقف الحرج يفضلون الموت فى سبيل المحبوب و حسب إرادتهم على الفداء الذى جاء ليحل محلهم و يفكهم من قيد الموت المحتوم. و هو

تصوير شعري معاصر لمفهوم صوفي تراثي خاض فيه المتصوفة كثيراً و صاغوه شعراً لما بين التجريبتين الصوفية و الشعرية من علاقة فهناك من قال: إن كلتا التجريبتين الصوفية و المعاصرة، تبحثان عن غاية واحدة، و هى العودة بالكون إلى صفائه و إنسجامه». (عبدالصبور، ١٩٦٩، ١١٩)

### استنتاج

تمكنت هذه الدراسة المتواضعة التوصل إلى النتائج التالية:

- ١- إن للتراث عند البدوى أهمية خاصة فى الكشف عن البنية الفنية لقصائده من خلال متابعة هذه الظاهرة.
- ٢- من الظواهر اللافتة فى إستخدامات اللغة الشعرية عند البدوى إحتوائها الأدائى لمعطيات التاريخ و دلالات التراث، يقوم الشاعر بإستلهاام الحدث التاريخى و الشخصيات التاريخية بغية توظيفها فى بنية النص بما تحمله من دلالات و إشارات.
- ٣- توظيف المعطيات القرآنية لم يقتصر على الإشارة القرآنية، أو الإيماء أو اللفظة، أو الآية، أو التركيب، و إنما تعدى ذلك كله إلى استحضار المعجزات و القصص القرآنية و يمكن القول إن توظيف التراث الدينى فى الشعر يصبح تعزيراً قوياً لشاعريته و داعماً لإستمراره فى ذاكرة الإنسان.
- ٤- إن لغة البدوى الشعرية حية نابضة بثقافة كل العصور، مما جعل قصائده مشحونة بفيض هائل من الدلالات التراثية.

### المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

ابن زيدون، ٢٠٠٥، "ديوان ابن زيدون"، تح: عبد الله سنده، بيروت، دار المعرفة، ط ١.

إبن منظور، ١٩٩٩، "لسان العرب"، بيروت، دار صادر.

الأشتر، عبدالكريم، ٢٠٠٨، "شعراء شاميون قدامى و محدثون"، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط ١.

البحترى، ١٣٠٠ هـ.ق، "ديوان البحترى"، تح: عبيد الله الشيرازى، قسطنطينية، مطبعة الجوانب، ط ١.

- الجابري، محمد عابد، ١٩٩١، "التراث و الحداثة"، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢.
- الجبل، بدوى، ٢٠٠٠، "ديوان بدوى الجبل"، قم المقدسة.
- الجندي، أحمد، ١٩٦٥، "شعراء سورية"، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط ١.
- الخير، هانى، ١٩٨٣، "يحدثونك عن أنفسهم"، دمشق.
- الدسوقي، عمر، ١٩٦٦، "فى الأدب الحديث"، بيروت.
- الدهان، سامى، ١٩٦٨، "الشعراء الأعلام فى سوريا"، بيروت، دار الأنوار، ط ٢.
- شرتح، عصام، ٢٠٠٥، "الظواهر الأسلوبية فى شعر بدوى الجبل"، دمشق، منشورات إتحاد كتاب العرب.
- العامرى، لبید بن ربيعة، "ديوان لبید بن ربيعة"، بيروت، دار صادر، د. ت.
- عبد الصبور، صلاح، ١٩٦٩، "حياتى فى الشعر"، بيروت، دار العودة، ط ١.
- عشرى زايد، على، ١٩٩٧، "إستدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر"، القاهرة، دار الفكر العربى.
- عكاش، مدحة، ١٩٦٨، "مختارات من بدوى الجبل"، دمشق، دار الثقافة.
- القنطار، سيف الدين، ١٩٩٧، "الأدب العربى السورى بعد الإستقلال"، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.
- كاميل، روبرت ب، ١٩٩٦، "أعلام الأدب العربى المعاصر (سير و سير ذاتية)"، بيروت.
- الكبيسي، طراد، ١٩٧٨، "التراث العربى كمصدر فى نظرية الإبداع و المعرفة فى الشعر العربى الحديث"، بغداد، منشورات وزارة الثقافة و الفنون.
- ناصف، مصطفى، "دراسة الأدب العربى"، القاهرة، الدار القومية للطباعة و النشر، د. ت.
- وتار، محمد رياض، ٢٠٠٢، "توظيف التراث فى الرواية العربية المعاصرة"، دمشق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، ط ١.